الدين في فلسفة أريك فروم

▪ د. عبد الغاني بوالسكك
جامعة باتنة 1 – الحاج لخضر
boussekekabdelghani@yahoo.fr

الملخّـــص:

بما أن التدين فطرة في الانسان، فإن هذا الأخير عرف الدين منذ أن وُجد في هذا الكون، حيث عبد كل ما يرمز للقوّة من مظاهر الطبيعة وغيرها، وبعد أن أدرك الإنسان أن بعض هذه المظاهر لا تستحق العبادة توجّه إلى البحث عن قوة أعظم وأقوى، إلا أن تطور وعيه جعله ينزع نحو التجريد فتصوّر آلهة غير مرئية، وآمن بكل ما هو ميتافيزيقي وغيبي ولكن هذا الإيمان طغت عليه الخرافات والأساطير، فتخيّل الإنسان الإله في صور وخيالات، وأضفى عليها من الخوارق والقدرات ما يبرر به عبادته لها، ومع مجيء الأديان السماوية اتّسمت هذه المرحلة بالتوجه إلى عبادة إله واحد مطلق، وأصبح الإنسان يعبد رباً يؤمن به ويقدّسه، ومن هنا انطلق الإنسان متحرّرا من قيود الخرافة والأسطورة، ليبدع علما وتقنية حاول من خلالها أن يبرهن على صحة معتقداته، لكنه بالمقابل وقع في عبادة إله جديد إنه إله صنعته يداه، ألا وهو العلم والمادة والتقنية، وهذا بدوره أثر في حياة الإيمان لدى الإنسان، كما أثر في كل قيمه الروحية والأخلاقية، ومثله العليا، فعرف الإنسان الإلحاد واللايقين والاغتراب والتشاؤم والقلق والخوف من المصير فاصبح مضطرباً ينزع الى سلوكات التطرف والعدوانية والتدميرية، وكانه عاد بالحضارة التي بناها بيده وعقله القهقرى، فلم يجد مخلّصا إلا بالعودة إلى الدين النقي الطاهر الذي لا يستغل من أجل أغراض آنية، وغرائز عابرة.

Religion dans la Philosophie d'Eric Fromm

Résumé:

Considérant pue l'instinct religieux est naturel chez l'homme, celui-ci la religion connue depuis qu'il a été trouvé dans l'univers, où adore tout ce qui symbolise la force des manifestations de la nature, etc., et après la réalisation des droits que certains de ces thèmes ne sont pas dignes de culte dirigé vers la recherche de la plus grande force et la plus puissante, mais que l'évolution de la conscience lui fit tend vers l'abstraction Imaginant dieux sont invisibles, et de sécuriser avec tout ce qui est métaphysique et métaphysique, mais cette foi a été éclipsé par les mythes et légendes, Imaginant l'homme de Dieu dans les images et les fantasmes, et il a donné aux pouvoirs surnaturels se justifie par le culte d'elle, et avec l'avènement des religions divines caractérisent cette étape pour aller au culte d'un seul Dieu et absolu, et est devenu un homme adore Dieu croit en lui et vénéré, ici il est lancé droit à

la liberté de mythe et de légende restrictions, d'innover note technique éprouvée pour prouver la validité de ses croyances, mais en retour, a eu lieu dans le culte du nouveau dieu que Dieu a créé avec ses mains, à savoir la science, l'art et la technologie, qui à son tour l'impact sur la vie de la foi en l'homme, comme l'impact sur les deux valeurs spirituelles et morales et les idéaux, il connaissait l'athéisme et de l'incertitude et de l'aliénation et le pessimisme, l'anxiété et la peur de la détermination homme est devenu agité a tendance à des comportements de l'extrémisme, agressive et destructive, comme s'il est revenu à la civilisation construite par sa main et de l'esprit vers l'arrière, mais il n'a pas trouvé un retour sincère à la religion pure, qui ne sont pas exploités aux fins pré caries navires, et les instincts d'un transitoire.

Religion in the philosophy of Eric Fromm

Abstract :

As the religious instinct in man, the latter the known religion since he was found in the universe, where he worship everything that symbolizes the strength of the manifestations of nature, etc., and after realizing rights that some of these themes are do not deserve worthy of worship directed to the search for the greatest and most powerful force .However, the evolution of his consciousness made him tends toward abstraction he Imagined the gods are not visible, and believed with everything that is metaphysical but this faith overshadowed by the myths and legends, he Imagined God in images and fantasies, and gave it to the supernatural abilities which justified its worship them, and with the coming of the heavenly religions characterized this stage to go to the worship of one God and absolute, and became a man worshiped Lord believes in him and venerated. Hence, the man went free of myth and legend restrictions to innovate note and technology tried through which to prove the validity of his beliefs, but in return took place in the worship of the new god that god created his hands , namely science and art and technology, which in turn impact on the life of faith in humans, as on both the spiritual and moral values, and ideals. So, the man knew atheism and uncertainty and alienation and pessimism, anxiety and fear of determination he became agitated tends to behaviors extremism, aggressive and destructive, like he returned by civilization which built by hand and mind backwards, but did not find a sincere return to pure religion that does not take advantage of for the purposes of the vessels, and the instincts of a transient.

مقدمــــة:

باعتبار الإنسان كائناً "ديجتماعيسياً" بمعنى ديني اجتماعي سياسي، فإنّه كائن الدين بالدرجة الأولى، فمنذ اللحظة الأنطولوجية الأولى لوجوده اعتنق دينا

وأصبحت له عبادة، فهو كائن ميتافيزيقي لا يمكن له بحال أن يتخلى عن هذا الجزء الجوهري في وجوده وحياته وبقائه واستمراره، ولقد عرف الإنسان أدياناً كثيرة عبرت ولا تزال تعبر عن تطلعه الروحي نحو المطلق، ونحو عالم الماورئيات، وعلى الرغم من الصدامات التاريخية التي عرفها الدين مع كثير من الأطر الاجتماعية والسياسية واللادينية إلا أنه عرف انتصارات وانتكاسات وهزات، وكان آخرها تراجع المقدّس لصالح المدنّس، وتراجع الدين لصالح العلم، وربما ما عرفته الأديان السماوية من هزات جعل الفلاسفة والمفكرين يؤسسون لفلسفة جديدة هي فلسفة الدين محاولين من خلال ذلك النظر إلى الدين نظرة أكثر عقلانية، متجاوزين بالتالي تلك السطحية والهامشية التي كانت تمس الدراسات الدينية، وكانت قداسة الدين تمنع من التفكير والنقد والتحليل، فإن الدين بالتالي موضع دراسة علماء الاجتماع وعلماء النفس والفلاسفة في محاولة لتبيان الأسس والمبادئ التي انطلق منها الإنسان في الاعتقاد بوجود إله، والسعي بالتالي إلى الكشف عن سر الوجود، ومن الذين حاولوا أن يتناولوا دين الغرب سواء المسيحية أو غيره من الأديان التي ظهرت في الغرب نجد الفيلسوف وعالم النفس اريك فروم، ومن خلال دراساته لنا أن نتساءل: ما المقصود بالدين؟ وبالتحديد ما معنى فلسفة الدين؟ وهل يمكن للدين أن يحل جميع مشاكل الإنسان والإنسانية؟ هل الدين ينبع من الإيمان؟ هل للدين علاقة بالسلوك؟ وقبل هذا وذاك من هو اريك فروم؟

1_ إيريك فــروم (مولده ونشأته):

ولد إيريك فروم بينساش Erich Pinchas Fromm في عائلة يهودية أرثوذكسية متدينة يوم 23 مارس 1900 بمدينة فرانكفورت، الألمانية، وقد كان وحيد والديه، اللذين كانا يودان أن يصبح حاخاماً بعد حصوله على

شهادة الأبيتورب التي تعادل البكالوريا، انتقل إلى مدينة هايدليبرغ Heidelberg حيث بدأ دراسة القانون قبل أن ينتقل إلى السوسيولوجيا ليصبح التلميذ المباشر للسوسيولوجي الألماني المشهور ألفرد فيبر Alfred Weber دون أن ينقطع عن دراسة التلمود عند الربانيب ربنكوف Robinkow، حصل على الدكتوراه في الفلسفة، ثم تفرغ للتحليل النفسي على يد المحللة النفسية الألمانية المعروفة فريدا رايخمان Frieda Reichman وبعدها على يد فيلهيلم فيتينبرغ Wilhelm Writtenberg بمدينة ميونيخ.

تزوج سنة 1929 بأستاذته رايخمان وخرج في نفس السنة من الدين اليهودي لاعتبارات شخصية، كان فروم من بين مؤسسي المعهد الألماني الجنوبي للتحليل النفسي الذي رأى النور سنة 1929 بمدينة فرانكفورت ليلتحق سنة 1930 بما سمي بعد ذلك بمدرسة فرانكفورت، في سنة 1931 أصيب بمرض رئوي وانفصل عن زوجته ليستقر بمدينة دوفوس Dovos السويسرية قصد العلاج.

اضطر فروم إلى مغادرة ألمانيا بعد وصول النازية للحكم فيها سنة 1933 وهي السنة التي قام فيها بإعادة النظر في نظرية الغرائز الفرويدية ليعوضها بنظرية العلاقة النمطية، وقد لاقى هذا اعتراض هوركهيمر Horkheimer وماركوز Marcuse وأدورنو Adorno لينتهي المطاف بعزل فروم من مدرسة فرانكفورت سنة 1929 على الرغم من التزام العمل مدى الحياة الذي كان قد وقعه مع هذه المدرسة، حصل على الجنسية الأمريكية سنة 1940 واشتغل هنالك كمحلل نفسي وأستاذ محاضر...

التزم فروم سياسيا بشكل مكثف في صفوف الحزب الاشتراكي الأمريكي منذ سنة 1960، وشارك عام 1962 في مؤتمر السلام المشهور بموسكو...

اشتهر فروم سنة 1965 عندما التزم ضد حرب الفيتنام توفي فروم على إثر وعكة قلبية في سويسرا ودفن بمدينة بلينتونا Bellinzona[1].

2_ الدين والإيمان والإنسان:

ينطلق فروم في فلسفته في الدين من علاقة الدين بالإنسان والإيمان، من حيث إن الدين تجربة إنسانية خاضها الإنسان منذ أن وجد على هذه الأرض، وآثارها ومنطلقاتها من قبل أن يوجد على الأرض، ورغم أنها تجربة تبقى غامضة بحاجة إلى تفسير وتحليل وتأويل، وإخضاعها للعقل والمنطق فإنها تجربة إنسانية خالصة، فلا يمكن لغير الإنسان أن يتدين، إلا أن دين الإنسان عرف تطورات وتغيرات وفقاً للمراحل التي مرت بها البشرية وتطور وعيها سواء بالله أو بالعالم والطبيعة أو حتى بالذات الإنسانية، فالإنسان الأول لم يكن يعي ويدرك كثيراً من الحقائق والظواهر التي شكلت فيما بعد تصوراته وعقائده، لدرجة أنه كان يعبد كل ما يخاف منه، من هنا يتكلم الفلاسفة وعلماء النفس عن التحليل النفسي للدين، باعتبار الإيمان كما يرى أحد الفلاسفة المهتمين بالتحليل النفسي، ألا وهو _إريك فروم_ تجربة شعورية، ويمكن أن تكون لاشعورية، إلا أن فروم باعتباره فيلسوفاً ينتمي إلى المنظومة الفكرية الغربية فإنه يقوم باستعراض تاريخ الدين والتدين في الفكر الغربي، حيث يقول: "تتضمن المرحلة الأولى لتطور الإنسان الغربي الحقبة الزمنية ما بين 1500 قبل الميلاد إلى بداية التاريخ الميلادي، وتتميز هذه المرحلة بانتقال الإنسان من عبادة الأوثان إلى الدين الإنساني... وأعني بالوثنية ذاك الشكل من بحث الإنسان التوحد مع العالم، بحيث يرجع إلى الطبيعة إلى حيوانيته الخاصة ليستسلم لها، يستسلم للطبيعة بما صنعته يداه (في شكل أقانيم من الذهب أو الفضة أو الخشب) أو يستسلم لأناس آخرين"[2].

فالإنسان عرف الدين الوثني أولا في تجربته الدينية، حيث عبد الأوثان التي صنعتها يداه سواء أكانت من خشب أو من حجر أو من طين أو من ذهب، وكان يضفي عليها جميع القوى التي تتحكم فيه وفي الطبيعة، فأضفى بالتالي عليها صفة القدسية، ولم تقتصر عبادته على الأشياء بل امتدت إلى الأشخاص الذين رأى فيهم القوة والذكاء، ولم يعرف الإنسان الدين الإنساني إلا في مرحلة متأخرة حيت "يعتقد بأن التحول من عبادة الأوثان إلى الدين الإنساني قد بدأ بالثورة الدينية لأخناتون واستمر مع اليهودية والطاوية والبوذية، وفي الحقبة الكلاسيكية للفلسفة اليونانية، وكان هدف كل هذه التطورات هو خلاص الإنسان، حيث يبحث هذا الأخير عن وحدة جديدة، ليس بطريقة تراجعية كما هو الشأن في الديانات البدائية الطوطمية أو الإحيائية التي كانت تبحث عن خلاصها في الآلهة الطبيعيين والأوثان لكن بالتقدم إلى الأمام بحثا عن وحدة جديدة مع العالم، حيث يجد التفتح الكامل للإنسان مع هذا التحول إلى الدين الإنساني أثناء 15 قرن"[3].

إن التاريخ يؤكد أن تحول الإنسان النسبي من عبادة الأوثان إلى الدين الإنساني الذي يقوم على التفكير في إله مطلق أزلي خالق، يعود وفق أفكار فروم إلى الثورة الدينية التي قادها في مصر الفرعونية الملك اخناتون، واستمرت تلك الثورة مع ظهور الدين اليهودي كأول دين سماوي، وتبعتها بعد ذلك في الصين الطاوية والبوذية، على الاختلاف الكبير بينها، وبقي الأمر على هذه الحال حتى ظهور الدين المسيحي الذي جاء بفكرة الخلاص، مستعرضة تاريخ الإنسان منذ وجوده في الجنة إلى أن أخرج منها وهنا يرى إريك فروم في تحليلاته الفلسفية والنفسية للدين المسيحي، إن فكرة الخطيئة التي آمنت بها المسيحية هي فكرة ذات بعدين، الأول يفسر وجود الإنسان في الجنة دون وعي، والثاني يعتبرها سبب وعي الإنسان لذاته ولله، فقول

الإنسان لا لأوامر الله يعد المنطلق الحقيقي لوعي الإنسان ذاته ووعي علاقته بالله، وفي نفس الوقت اكتسب حريته، والتي أعلنت زوال ذلك الانسجام المطلق بين الإنسان والله أو بين الناسوت واللاهوت، إنه التمرد بمصطلحات الفلاسفة، لقد تمرد الإنسان على إرادة الله، ولقد سعى الإنسان منذ ذلك إلى أن يكتسب فعل الحرية الذي يساعده على الخلاص من خطيئته ومن النار، وهو ما تلخصه عبارات فروم التالية "تنعكس المرحلة الأولى في تمثل خلاص تاريخي من جديد، كما نجد ذلك في المسيحية بطريقة مبسطة، فإن النبوة المسيحية طورت الفكرة التالية: كان الإنسان في الجنة متوحدا مع الطبيعة لكنه كان _كالحيوان_ من دون وعي بذاته وفي فعل عدم طاعة الله ولنقل في إمكانية قول لا وعى الإنسان بنفسه وخطا خطوته الأولى في الحرية، وتكون هذه الخطوة أول خطوة في التاريخ الإنساني، فقد تكسر الانسجام الأصلي للإنسان مع الطبيعة، وطرد من الجنة وقاومه ملكان من نار لكي لا يعود إليها"(4).

وهذه الأفكار نجدها في النبوة اليهودية التي آمنت بالتاريخ المقدس للإنسان عندما تفتحت إنسانيته على الحب والعقل والوعي، وهذا ما دفعه لأن يوجد انسجاما جديدا مع الطبيعة ومع ذاته، ويتخلص من تبعيته لهما، ومن هنا اكتسب فعل الحرية والإرادة، وبالتالي فإن فكرة الخلاص لا ترتبط بالتاريخ بل بالتعالي على التاريخ، لأنه لا يمكن تغيير هذا العالم، بل المهم هو السعي لإيجاد عالم جديد، يتجاوز هذا العالم.

ولقد آمنت المسيحية بفكرة الخلاص، خلاص الفرد من الخطيئة لتصل إلى الخلاص الجماعي إلى خلاص الإنسانية، من هنا اعتبرت المسيحية الدين الإنساني الذي جاء من أجل الإنسان، وهنا يعتقد فروم أن المسيحية قد اختلفت عن اليهودية في فكرة الخلاص، لأن هذه الأخيرة تؤمن بخلاص

تاريخي، بينما المسيحية تؤمن بخلاص يتعالى على التاريخ. "كانت النبوة اليهودية ترى المجتمع الكامل المجتمع الجيد المجتمع الإنساني يوم القيامة فإن المثالية/الطوباوية النهضوية ترى المجتمع الجيد في نهاية المكان في مكان ما على الأرض سيكتشف فيما بعد"(5).

ونتيجة لما حققه فكر النهضة من استنارة، وما وصل إليه التحديث في الغرب، فقد آمن الإنسان الغربي بالعلم، وآمن بإمكانية الخلاص في الأرض، فبدا في وعي الطبيعة والسيطرة عليها والتحرر من أغلالها وبفضل العلم والتقنية والصناعة أصبح سيدا على العالم بل اعتبر نفسه في مرحلة متقدمة إلها لهذا العالم من هنا نجد تراجع الديني لصالح العلمي، حيث تراجع الإيمان والتوحيد، وتحول الإيمان إلى الإنسان وفعل الإنسان، ولكن ما نتيجة ذلك يتساءل فروم قائلا: "ماذا حصل للإنسان الغربي في 60 سنة الأخيرة؟ كانت هناك حربان عالميتان، وكانت هناك لا إنسانية النظام النازي والنظام الستاليني، وهناك الخطر المباشر للقضاء النهائي على الإنسان... في اللحظة التي كان يظهر فيها بأن الإنسان كان في أعلى قمم اجتهاده التاريخي تبادرت في الأفق خسارة كل شيء"(6).

هذه هي نتائج التحول الإنساني في التاريخ من عبادة الله إلى عبادة ما صنعت يداه، لقد انجرّ عن ذلك زوال روح القداسة، وانهيار القيم وتراجع الدين والإيمان، مما خلق إنساناً بلا هوية بلا دين بلا إيمان ومما زاد من ابتعاد الإنسان عن ذاتيته وقيمه الروحية هو براغماتية النظام الرأسمالي، حيث أوقع الإنسان في الشيئية والمادية وجعل فكره منغلقا، وهذا ما أوقعه في الاغتراب والخوف والقلق، وتحول بالتالي من عبادة الله إلى عبادة الأوثان من جديد، وبالعودة إلى مفهوم الدين، نجد أن الذين يعبدون الأوثان يعتقدون في وجود آلهة، والفرق الوحيد هو أن آلهتهم متعددة وآلهة التوحيديين واحدة،

ومن هنا يقول فروم: "الكثير من الناس يعتقدون بسذاجة بأن الفرق بين ما يسمى عبادة الأوثان وبين عقيدة التوحيد هو كون الله عند الوثنيين متعدداً، لهؤلاء الأخيرين آلهة متعددة في الوقت الذي يعتقد فيه التوحيديون في إله واحد"(7).

ليوضح فروم أن الإنسان الوثني هو الذي يعبد ما يصنعه بيديه، ولكن البعد النفسي لعبادة الأوثان وفق النظرة التحليلية لفرويد هو أن الإنسان يتخذ مما يصنع وثنا إلها من أجل التصعيد، أي أن يصبغ على معبوده قوته الفكرية والروحية، بعد ذلك يستسلم لعبادته.

وعليه فان فلسفة الدين وتاريخيته تؤكد خضوع الإنسان لقوى أعلى، وعبادته لأشياء كان يصنعها وتنتجها يداه مما يعني أن الإنسان كائن ديني، أي لا يوجد إنسان دون عقيدة أو إيمان، ودون عبادة أو تدين "على الرغم من أن أغلبية الناس قد يجيبون في استمارة ما بأنهم يعتقدون في وجود الله، وعلى الرغم من أن عدد زوار الكنيسة قد تضاعف وعدد الملحدين قد تقلص، فإنه لا يمكن غض النظر عن كون الدين تأثر كثيرا بأزمة بنية السلطة الأبيسية، وحتى رجال الدين أنفسهم يعترفون حاليا بأن الدين كما نعرفه يحتضر"(8).

فالدين الحقيقي الذي تخلص من جميع السلطات الدنيوية بما فيها سلطة الكنيسة والبابا، عرف تراجعا وهو مهدد بالزوال، كما أنه فقد دوره الحقيقي، وبالرجوع إلى فعل الخلق كفعل أول معبر عن الدين يرى فروم أن فكرة خلق العالم من طرف إله أعلى هي أهم فكرة تنظم الحياة الأخلاقية للإنسان وتنظم الوجود ككل ومن هذا يعتقد فروم أن أطروحة الخلق تنتصر على أطروحة الانتخاب الطبيعي وصدفة الوجود الداروينية، حيث قام الدين بأهم وظيفة وهي أنه شرح الطبيعة التي احتضنت الإنسان، وبدأ الإنسان في

عبادتها وتقديسها، ومن هنا حول الدين الإنسانية من عبادة الأوثان إلى عبادة الله "إن الجاهل لا يمكنه تصور هذا الخلق دون إله، لكن أصل العالم لم يعد سرا بالنسبة للعلم من وجهة نظرية الارتقاء فإن الله قد أصبح فرضية بداية العمل، وحكاية خلق العالم والإنسان في صورة خيال وشعر ورمز، تعبر عن شيء ما، لكنها لا تمثل أي حقيقة علمية وبما أن الناس لم يعودوا يعيرون أي اهتمام خاص لشرح الطبيعة من طرف الدين، فإن هذا الأخير قد خسر رجلا، لم يبق له إلا وظيفة تقديم مسلمات أخلاقية"(9).

ما يمكن قوله هنا هو أن تطور العلم قد جعل الدين منحصرا في العبادة، لقد تولى العلم المهمة التي انطلق منها الدين، ألا وهي شرح الطبيعة، وبما أن العلم قد أخذ على عاتقه هذه المهمة، فإن الدين لم تعد له من وظيفة سوى تأكيد القيم الأخلاقية للإنسان والإنسانية، ولكن فروم يعود إلى هذه المهمة الوحيدة للدين ليؤكد أن ظهور وتطور الرأسمالية قد قطع الرجل المتبقية للدين، حيث لم يعد الدين ممثلا للقيم الأخلاقية في ظل روح الأخلاق الرأسمالية، لقد طور الإنسان اليوم دينا جديدا له أخلاقيته ومبادئه وقيمه، إنه دين التقنية "إن الإنسان كان يريد أن يصبح إلها ما كان بإمكان الله أن يعمله، كان بإمكان الإنسان أن يعمله كذلك"(10).

وهنا يعود فروم إلى فعل الإرادة الإنسانية والإلهية، حيث يعطي الإنسان إرادة الفعل والعمل، سواء في تغيير الطبيعة والتحكم فيها، أو في تغيير ذاته ووعي هذه الذات، ومن هنا يعتقد فروم أن هناك ديانة وثنية جديدة قد أوجدها الإنسان، ألا وهي الإيمان بقدرته على الإيجاد، وتجاوز ما كان يعتقد أنه خاص بالإله، فلقد استطاع أن يصل إلى القمر ويخترق السماوات وأن يغير في الطبيعة ويحول كثيراً من مظاهرها، وهنا يؤكد فروم قائلا: "اعتقد بأن ما شهدناه في اللحظة التي وطأ فيها رائد الفضاء بحذائه القمر

كانت عبارة عن ممارسة دينية وثنية وخطوة أولى في طريق أن يصبح الإنسان إلها ويتجاوز حدوده... التقنية أصبحت الإله الجديد أو كون الإنسان نفسه قد أصبح إلها"[11].

وبهذا شهد الإنسان ولادة دين وعقيدة جديدة حولته من كائن خاضع عابد إلى كائن يخضع الأشياء لإرادته وبالتالي معبودا، إلا أن التقنية التي مكنت الإنسان من التأله والتعالي والتسلط كانت فارغة من جميع القيم سواء الروحية أو الأخلاقية، وهذا ما جعل الإنسان يراجع دينه الجديد، وربما هذا ما يفسر تراجع العلمي لصالح الديني، وهنا يستشهد فروم بعبارة شهيرة للمفكر والأديب الروسي "دوستويفسكي" الذي قال مرّة: "إذا غاب الله فإن كل شيء مباح، إذن فأخلاق ذلك الوقت كما كان يعتقد كانت مؤسسة على الاعتراف بالله، وإذا لم يعد الإنسان يعتقد في الله، فإن هذا الأخير لم يعد هو الحقيقة التي تؤثر في فكر وسلوك هذا الإنسان، وبالتالي سيكون من الضروري طرح سؤال ما إذا كان الإنسان قد أصبح دون أخلاق"[12].

فتراجع الدين شاهد على تراجع الأخلاق، إن الدين بما يحمله من قيم كان ومازال المعبر الوحيد عن أخلاقية الإنسان وإنسانيته، رغم أن كثيراً من الفلاسفة وعلماء النفس لم يؤمنوا يوما بدين سوى دين العقل والعلم، وها هو فرويد الذي يعود إليه كثيرا فروم في تحليلاته النفسية للدين، يعتقد أن دين الإنسان هو العقل وما وراءه من دوافع لاواعية أو غير شعورية، من هنا كان تفسيره للدين تفسيرا نفسيا، حيث "كان العقل بالنسبة إليه (فرويد) الطاقة الإنسانية الوحيدة التي تستطيع المساهمة في حل مشكلة الوجود أو على الأقل في تخفيف الألم الملازم للحياة البشرية، إن العقل بالنسبة لفرويد هو الوسيلة الوحيدة _أو السلاح الوحيد_ الذي يوفر لنا معنى للحياة، ويعفينا من الأوهام

(التي تشكل الأديان مظهرا من مظاهرها) ويحررنا من السلطات التي تقيدنا ليؤسس فيما بعد سلطتنا الذاتية"[13].

فالدين بما يحمله من مظاهر بالنسبة لفرويد يعد أكبر وهم يجب على الإنسان والإنسانية أن تتخلى عنه، وما على الإنسانية إلا أن تتمسك بالعقل، وعليها أن تعتمد عليه في حل جل المشاكل المرتبطة بالإنسان ووجوده، وربما هنا ندرك أثر النزعة التنويرية لعصر وفلسفة النوار في أفكار فرويد التي اعتمد عليها فروم في تفسيراته للظاهرة الدينية.

"إن مشكلة معرفة الإنسان مماثلة للمشكلة الدينية الخاصة بمعرفة الله، في اللاهوت الغربي التقليدي تبذل المحاولة لمعرفة الله بالفكر، والإدلاء بعبارات عن الله، إن هذا اللاهوت يفترض أنني أستطيع أن أعرف الله في فكري وفي التصوف الذي هو المحصلة المترتبة على الوحدانية أو التوحيد فإن المحاولة لمعرفة الله عن طريق الفكر يجري الإقلاع عنها وتحل محلها تجربة الاتحاد بالله حيث لا تعود هناك ضرورة ولا حاجة لمعرفة شيء عن الله"[14].

لقد بدأت النزعة الإنسانية تؤمن بالإنسان وليس شيئا آخر، ومن هنا اجتهدت البشرية في التعبير عن هذه النزعة الإنسانية فيما أبدعته من أطر اجتماعية وأنظمة سياسية واقتصادية، كان الهدف منها تحرير الإنسان، وزرع بذرة الفعل والعمل فيه، وإيمانه بذاته وتحررها واستقلالها "ومن ثالوث الإنتاج غير المحدود والحرية المطلقة والسعادة غير المحدودة تشكلت نواة دين جديد اسمه التقدم، ولن نستطيع أن نفهم الصدمة التي أحدثها التحقق من إخفاق هذا الوعد العظيم"[15].

ولقد كان الدين ولا يزال منطلق كل تغيير بما يحمله من قوة روحية دافعة للإيمان والعمل، ومن هنا التفكير في مجتمع جديد، وبعد ذلك على

المجتمع الجديد أن يعيد ترتيب أولوياته، حيث يهتم أولا بالإشباع الديني قبل المادي والاقتصادي، ومن هنا يقدم فروم تصورا جديدا للدين حيث يقول: "الدين كما استخدمه هنا لا يعني نظاما يتضمن مفهوما معينا للرب أو لمعبودات بعينها أو حتى نظاما ينظر إليه باعتباره دينا وإنما أعني نظاما للفكر والعمل تشترك في اعتناقه جماعة من الناس يعطي كل فرد في الجماعة إطارا للتوجيه وموضوعا يكرس من أجله حياته"[16].

من خلال هذا المفهوم الجديد والواسع للدين يعتقد فروم أن الدين الصحيح هو الذي يقدس الإنسان قبل كل شيء، الإنسان باعتباره كائناً عاقلاً وفاعلاً، ليصل بعد هذا الضبط لمفهوم الدين _يصل فروم_ إلى نتيجة وهي "والحق أنه بهذا المفهوم الواسع للكلمة لم توجد حضارة في الماضي ولا توجد في الحاضر، ويبدو أنه لن توجد في المستقبل حضارة يمكن اعتبارها بلا دين"[17].

وكما ذكرنا من قبل فإن التدين عمل قام به الإنسان منذ وجوده، ومهما اختلفت الأديان وتمايزت ومهما اختلف معبود الإنسان، إلا أن التدين جوهر خالد في الإنسان، وما حالات الإلحاد، ونفي وجود الله إلا حالات شاذة في تاريخ البشرية، من هنا فقد كانت لجميع الحضارات دين أو أديان، آمنت بها شعوبها بل وكانت في كثير من الأحيان سبباً في رقي الإنسان وحضارته وتطوره، وشكّل له الدين دافعية لنشر قيم حضارته والسمو بها، من هنا كان "هذا التعريف للدين لا يصف لنا محتواه الخاص، فالناس قد يعبدون حيوانات أو أشجارا أو آلهة مصنوعة من الذهب أو من الحجارة أو إلها غير منظور أو بشرا قدسيا أو زعيما كالشيطان، وقد يعبدون أسلافهم أو أوطانهم أو الطبقة أو الحزب الذي ينتمون إليه، أو يعبدون المال أو النجاح، ويمكن أن يقودهم دينهم إلى تنمية نوازع التدمير أو روح المحبة إلى تنمية النزوع

للتسلط والسيطرة أو روح التكافل والتضامن إلى تنمية قدراتهم العقلانية أو إصابتها بالشلل، ويمكن أن يكونوا على وعي بأن نظامهم الذي يتبعونه هو نظام ديني مختلف عما يدعو إليه العلمانيون الدنيويون... كما يمكن أن يعتقدوا أن لا دين لهم وأن يفسروا تكريس حياتهم لما يعتبرونه أهدافا دنيوية مثل السلطة والمال والنجاح، يفسرون ذلك كمجرد اهتمام مناسب بالأمور العلمية"(18).

فالدين قوة محركة للإنسان، رغم أن الناس مختلفون في اعتقاداتهم وعباداتهم، فمنهم من يعبد ما تنتج يداه ومنهم من يؤمن بإله لا تدركه الأبصار، ومنهم من يقدس الحياة ويعتقد أنه موجود متناهٍ وما عليه بالتالي إلا أن يؤمن بالمال والنجاح وتحقيق أكبر اللذات في الحياة، من هنا تطرح غرابة الدين والإنسان والإيمان، لماذا يؤمن الإنسان؟ لماذا يعتقد في وجود إله؟ وهي الدهشة والحيرة التي دفعت الإنسان ودفعت المفكرين والفلاسفة إلى ممارسة تأملاتهم في الدين والعقيدة والعبادة، ووصل الكثير منهم إلى النتيجة التي وصل إليها اريك فروم ألا وهي النتيجة التي تؤكد أنه "والحق أن المشكلة ليست هل ثمة دين أم لا، و إنما هي أي نوع من الدين، هل هو دين دافع لتطور الإنسان وارتقائه وتنمية طاقاته وقدراته؟ أم من ذلك النوع الذي يعرقل التطور الإنساني ويصيبه بالشلل"(19).

إنه النقد للدين مهما كان نوعه، فالدين الحيوي بلغة هنري برغسون هو الدين الذي يحيي الإنسان في كامل وجوده ويكون له دافع للبناء والرقي والتطور، أما الدين الذي يعود به إلى الوراء والتخلف والبربرية والهمجية فلا يمكن أن ندعوه دين "إن دينا بعينه طالما هو قادر على تحريك السلوك ليس مجرد مجموعة معتقدات وشرائع، ولكنه إيمان مغروس بجذوره في البناء الخاص للشخصية الاجتماعية أيضا هكذا يمكن اعتبار موقفنا الديني وجها لبنية

شخصيتنا فهويتنا تتحدد بما نكرس أنفسنا من أجله وما نحن مكرسون من أجله هو الذي يحرك سلوكنا، غير أن الأفراد غالبا ما لا يكونون على وعي بما هم مكرسون من أجله، وغالبا ما لا يستطيعون أن يميزوا بين عقيدتهم الرسمية وعقيدتهم الحقيقية"[20].

فالإنسان مهما كان بحاجة إلى تجربة دينية تعبر عن وجوده الأنطولوجي، وبعده النفسي، من هنا فالتحليل النفسي للدين يخبر عن عمق التجربة الدينية في الإنسان.

3_ الدين في الغرب:

يتناول فروم بعد تحديده مفهوم الدين فلسفيا، يتناول الديانة السائدة في الغرب، ألا وهي المسيحية بالدراسة والتحليل والنقد، حيث يستعرض أولا تاريخ ظهور الدين المسيحي، حيث "تقول كتب التاريخ كما يعتقد معظم الناس أن أوروبا اعتنقت المسيحية أولا أثناء الإمبراطورية الرومانية تحت حكم الإمبراطور قسطنطين، ثم جاء اعتناق وثنيي أوروبا الشمالية الدين المسيحي على يد القديس بونيفاشيوسSt Bonifacious رسول الجرمان وغيره من المبشرين في القرن الثامن"[21].

ليؤكد فروم أن أوروبا لم تعتنق المسيحية بمعناها الصحيح، فهو يشكك في ذلك في هذه الفترة بالذات لأن الدين في أوروبا أخذ من الدين المسيحي بعده الإيديولوجي فقط، وليس مبادئه وقيمه، ومن هذا لم تعتنق الشعوب الدين المسيحي اعتناقا كاملا وصحيحا، وهو ما يؤكده فروم من خلال كثير من تساؤلاته حيث يقول: "لكن هل حدث وأن اعتنقت أوروبا المسيحية بحق، إن التحليل الدقيق يثبت أن اعتناق أوروبا للمسيحية كان زائفا إلى حد كبير وأنه _على أقصى تقدير_ يمكن الحديث عن اعتناق محدود للمسيحية من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، وأنه في القرون التي سبقت هذه الفترة

والقرون التي تلتها كان تتصير أوروبا نوعا من الاعتناق الإيديولوجي، مع خضوع متفاوت لسلطة الكنيسة ولم يكن يعني تغييرا في الطبائع والأخلاق الحقيقية أي في بنية الشخصية، باستثناء عدد من الحركات المسيحية الأصلية"[22].

ولقد بدأت حركة إحياء الدين المسيحي الفعلي في فترة متأخرة خصوصا مع بعض العلماء والمفكرين والمعلمين أمثال المعلم ايكهارت، هذه الحركة التي ظهرت في أوروبا كانت تدعو إلى العودة إلى مبادئ الدين المسيحي، ومقاومة التسلطية في مقابل الإنسانية، وحملت الجديد المتمثل في رفض التعصب الديني، وفتح حوارات ونقاشات حول مبادئ الدين المسيحي في حد ذاته، وعليه "في تلك القرون الأربعة كانت أوروبا قد بدأت تتنصر، حيث حاولت الكنيسة أن تطبق المبادئ المسيحية... وظهور كثير من الطوائف...يطالبون بالعودة إلى مبادئ المسيح...بلغت الذروة لدى المعلم ايكهارت، ولعب دورا حاسما في تلك الحركة الإنسانية المناهضة للاستبداد والشمولية... وعبّر كثير من المفكرين المسيحيين عن أفكار تدعو لدين عالمي أو إلى مسيحية بسيطة غير متزمتة إلى درجة إثارة النقاش والشك حول فكرة الرب كما وردت في التوراة"[23].

ولقد تجسدت حركة الإحياء الديني، والدعوة إلى النزعة الإنسانية أكثر مع حركة النهضة والتنوير في أوروبا فالناس كلهم متساوون أمام الرب، والعمل لا يعد احتقارا ولا عقوبة من الرب، وبالتالي فالدولة والملكية والعائلة وسائل من أجل قيم عليا مقدسة، لكن فروم يرى أن تلك المبادئ والمثل العليا لم تدم طويلا، وانحرفت الشعوب الأوروبية عنها وقادتها الأنانية وحب الذات إلى الوثنية من جديد، بمعنى أن تقديس المبادئ الدينية والقيم الإنسانية قد

عرفت تراجعا لصالح المادة والمعرفة، وهنا خلق دين جديد في أوروبا إنه الدين الوثني الذي يقدس الأشياء المادية بدل أن ينتجوها.

ومن هنا يستعرض فروم أسس ومبادئ الدين المسيحي الذي آمنت به أوروبا ودافعت عنه، بل وشنت حروبا من أجل نشر مبادئه وقيمه، حيث يرى أنه "مهما اختلفت المفاهيم فإن هناك اعتقادا واحدا يشكل كافة فروع المسيحية: ذلك هو الإيمان بأن يسوع المسيح هو المخلص الذي وهب حياته حبا لإخوانه في الخليقة، كان المسيح بطل المحبة، وكان بطلا بغير سلطة لا يستخدم القوة ولا يريد أن يحكم أو أن يملك أي شيء، كان بطلا للكينونة بطلا للعطاء والمشاركة"(24).

إنها المبادئ التي جاء بها المسيح والتي تجسدت في أقواله وأفعاله، وهو ما سار عليه كثير من أتباعه قبل أن ينحرف الدين المسيحي عن مساره، لقد استطاع المسيح أن يغرس في قلوب أتباعه حب الرب والإيمان به، كما زرع فيهم الأخوة والمشاركة والحب، وتجسدت هذه المبادئ لدى أتباعه في الشهادة، أي أن يهب الإنسان نفسه للرب، بينما في السابق قبل ظهور المسيح، فكان الإنسان يهب نفسه للوثن، حيث كان يموت من أجل البطولة أو من أجل الانتصار والنهب والسرقة، والحصول بالتالي على الشهرة والسلطة، وهنا يكمن الفرق بين الإيمان بالرب والإيمان بالوثن، ولقد قام فروم باستعراض الفرق بين أتباع دين المسيح ودين الأوثان ليصل، إلى أن هذين النموذجين لا يزالان سائدين في أوروبا اليوم، حيث يقول: "أي من هذين النموذجين المتعارضين اللذين شهدهما تطورنا لا يزال سائدا في أوروبا؟ لو أننا أمعنا النظر في أنفسنا في سلوك أغلبية الناس وفي قادتنا السياسيين لرأينا بيقين أن البطل الوثني هو النموذج الذي نعتبره حسنا، هو النموذج الذي نعتبر أن له قيمة"(25).

إن فروم باستعراضه تاريخ الدين المسيحي في أوروبا يصل إلى نتيجة مفادها أن المسيحية كما جاء بها المسيح قد انحرفت عن مسارها الصحيح، حيث اعتنقت أوروبا ديناً جديداً، ديناً وثنياً يقوم على ما قام عليه الدين في روما وباقي الحضارات قبل ظهور المسيحية.

4_ الدين والتاريخ:

وباستعراضه لتاريخ الدين المسيحي في الغرب يعتقد فروم أن أوروبا لم تعتنق الدين المسيحي الحقيقي، إلا في بعض لحظات التاريخ فقط، ومن هنا يرى أن التاريخ الأوروبي أو الغربي يؤكد اتباع الدين الوثني الذي يؤمن بالبطل والشر والقتل والنهب والسرقة، من أجل الحصول على البطولة والشهرة والسلطة، وعليه "فالتاريخ الأوروبي الأمريكي الشمالي على الرغم من اعتناق المسيحية ليس إلا تاريخ الغزو والأبهة والتكبر والجشع، وأعظم قيمنا هي أن نكون أقوى من الآخرين، وأن نغزوهم ونقهرهم ونستغلهم"(26).
والسؤال الذي يطرحه فروم كثيرا هو هل يتطابق الدين المسيحي مع ما يفعله المسيحيون باسم الدين؟ إن تاريخ أوروبا وعلاقته بالمسيحية ليؤكد الجرائم التي ارتكبها الأوروبيون باسم الدين، هل فعل المسيح مثل ما فعله المسيحيون من قتل وإبادة وتدمير؟ أين هي مبادئ الدين المسيحي المثلى التي تنادي بالمحبة والأخوة والصدق؟

"لسنا بحاجة إلى إثبات أن تاريخ أوروبا هو تاريخ للغزو والاستغلال والقوة والإخضاع والقهر تكاد لا توجد فترة أو مرحلة من التاريخ الأوروبي إلا كانت هذه سماتها لا يستثنى من ذلك طبقة ولا جنس، لا توجد جريمة إلا ارتكبت بما في ذلك عمليات الإبادة الجماعية لشعوب بأسرها، مثل ما حدث للهنود الحمر، حتى الحروب الصليبية التي جعلت من الدين ستارا لها لم تكن استثناءً فهل كان الدافع لهذا السلوك اقتصاديا، أو سياسيا فحسب؟... هل

هؤلاء مسيحيون مؤمنون حقا؟ أو ربما كان القادة وحدهم هم الوثنيون المتوحشون بينما الأغلبية الساحقة من الناس العاديين ظلوا مسيحيين، لو كان الأمر كذلك لهان ولكنه لسوء الحظ ليس كذلك، من المؤكد طبعا أن القادة كانوا غالبا أكثر جشعا وضراوة من الأتباع"[27].

من هنا يرى فروم أن الآلام التي تكبدها المسيح والتي يرى فيها المسيحيون أنها سبب الخلاص يجب أن تعكس فالمسيح يتألم اليوم أكثر مما مضى، إنه يتألم بسبب استخدام اسمه في مثل هذه الأفعال والجرائم التي يقوم بها الأوروبيون باسم المسيح، وإن الحضارة المسيحية يجب أن تعترف بأنها حضارة غير مسيحية لأنها قامت على الأوثان لا على مبادئ المسيح، إن المسيح يئن ويتألم مما يفعله المسيحيون باسمه في الأرض.

وربما هو ما يفسر عملية الفصل بين الدين والعلم التي شهدتها أوروبا في العصر الحديث، فهي من جهة تدعي أنها تؤمن بالدين المسيحي، إلا أنها لا تعتقد في مبادئه وقيمه، وتعتبرها عائقا أمام التقدم والتطور، ولكن هذا التناقض يثير حسب فروم التساؤل التالي: "إذا صح كل هذا فلماذا لم ينبذ الأوروبيون والأمريكيون المسيحية صراحة باعتبارها عقيدة لم تعد تتمشى وروح العصر؟ ثمة أسباب عديدة منها على سبيل المثال: إن الإيديولوجية الدينية مطلوبة للمحافظة على روح الانضباط عند الناس وصيانة التماسك الاجتماعي"[28].

من هنا بدا صراع جديد بين الدين والعلم، بين الديني والدنيوي، بين الديني والوثني، فبعد أن عرفت أوروبا ازدهارا عظيما في الروح والإنسانية، كان منطلقها احترام الإنسان كإنسان، وحرية الفرد في التعبير عن أفكاره، واحترام النوع البشري تجسد أكثر مع أكبر ثورة سياسية حملت شكل ثورة دينية إنها الثورة الفرنسية، لكن ما حدث بعدها هو أن أوروبا المسيحية

عرفت تراجعا رهيبا في الإيمان الديني لصالح الإيمان الصناعي"وخلف الواجهة نشأ دين سري جديد "الدين الصناعي" جذوره مغروسة في بنية الشخصية في المجتمع الحديث وإن يكن غير معترف به كـــ"دين" والدين الصناعي متعارض مع المسيحية الحقيقية إذ ينحدر بالإنسان إلى خادم للاقتصاد وللآلة التي صنعها بيديه"[29].

ومن مبادئ الديانة الجديدة، الديانة الصناعية هو إيمان الفرد بذاتيته ومصلحته، وإعلاء القيم الذاتية على حساب الروحية والجماعية، وتراجع المقدس لصالح المدنس، فلم تعد من قدسية للمثل والقيم الروحية أمام قدسية العمل والملكية والربح والسلطة، وغيرها.

وبالعودة إلى الدين في الغرب فإن فروم يعتقد أن أهم ما يؤسس للإيمان بالدين هو اعتقاده في وجود حقيقة مطلقة، وربما هو ما تشترك فيه الأديان التوحيدية وبعض الأديان في آسيا، حيث "كانت قوة الأديان التوحيدية في الغرب وكذلك الأديان الكبيرة في الهند والصين مرتبطة بالحقيقة وبزعم أن الإيمان هو الإيمان الحقيقي... وعلى حين أن هذا الاقتناع كثيرا ما سبب التعصب الحماسي على الأديان الأخرى فقد غرس في الوقت نفسه في أتباعها وخصومها على السواء احترام الحقيقة"[30].

من هنا يستعرض فروم حقيقة هذه الحقيقة، حيث يرى أن كثيراً من علماء النفس أمثال فرويد يفسرونها بالفهم والعقل، فمادامت ممكنة الفهم عن طريق العقل فلا حاجة للإنسان بأن يرجعها إلى ما فوق الطبيعة، لكن بالمقابل هناك من أكد أن هذه القوة وهذه الحقيقة لا يمكن أن تجد لها تفسيرا في الفهم والعقل البشري مادامت قوة غريزية تدفع الإنسان إلى الإيمان "وخلافا لتفسير فرويد الميكانيكي _الطبيعاني_ فقد فسر هذا القول بأنه يعني أن للإنسان حاجة دينية غريزية لا يمكن أن يفسرها وجوده الطبيعي، بل لا

بد أن يفسرها شيء يفوقه ومستمد من القوى خارقة للطبيعة وعلى أية حال، ليس الافتراض الأخير ضروريا ما دامت الظاهرة ممكنة التفسير بالفهم الواقعي للوضع الإنساني"(31).

بما أن الإنسان مفتقر إلى من هو أقوى منه، فإنه يشعر بالنقص ويسعى إلى الكمال، إن الإنسان كان ولا يزال يبحث عن معنى لوجوده وحياته، وربما هو ما عجز عنه الفكر والعلم وغيرها، ولم يستطع كل ما أبدع الإنسان أن يجيبه عن هذا المعنى وعلى كينونته ووجوده، ولا يزال الدين يساير التاريخ في فعل التغير والسيرورة، على أنه مهما ظهرت أنماط جديدة من التفكير والعيش إلا وزادت تعبيرا عن قوة القداسة وقوة الدين في الإنسان، وعليه فإن فروم يميز بين نوعين من الدين: دين سلطوي، وآخر إنساني، الأول لا يعبر عن الإنسان، والثاني يعبر عن إنسانية الإنسان "فالدين ذو النزعة السلطوية تكون فيه الطاعة من أمهات الفضائل ويكون الإنسان نفسه مستضعفا ومغلوبا على أمره...فما يطمح إليه هو دين إنساني النزعة يؤكد فيه على قوة الإنسان وطيبته حيث لا تكون الفضيلة مرادفة للطاعة، وإنما تكون مرادفة لتحقيق القدرات والطاقات الإنسانية الخاصة بالإنسان"(32).

ومن خلال دراساته للدين وصل فروم إلى الإيمان بالدين الإنساني، الدين الذي ينطلق من الإنسان ولصالح الإنسان وعليه فهو يرفض الاعتقاد في دين من أهم مبادئه أن الإنسان خلق دون إرادة منه، وأنه يعيش مدفوعا لفعل العيش وما عليه إلا الخضوع، وفي النهاية فإن الله بعدالته المطلقة سينقذه ويعفو عنه ويخلصه من الشر، ومنه "إن المعتقدات القائلة بأن الإنسان أداة عاجزة في يدي الله وأنه شرير أساسا وأن كل مهمته هي الخضوع لإرادة الله وأن الله يستطيع أن ينقذه نتيجة فعل للعدالة غير مفهوم، هذه المعتقدات ليست هي الجواب المحدد الذي على الإنسان أن يعطيه"(33).

من هذا يعتقد فروم أن الإنسان يعاني نفسيا، إنه يعاني القلق الانطولوجي، ولهذا تجد الناس يهرعون إلى الكنائس من أجل الصلاة والمواعظ، بحثا عن الأمن الروحي، ولكن هناك من يرى في هذه الأفعال تعبيرا عن المرض والقلق والخوف، ومن هؤلاء نجد فرويد، الذي يعتبر تلك الأفعال مرضاً نفسياً أصاب الإنسان في هذه الحضارة، مما دفعه إلى التعبير عنها في كتابه: قلق في الحضارة " بأنها نوع من العصاب " يعتقد بعض الناس أن العودة إلى الدين هي الإجابة لا بوصفها فعلا من أفعال الإيمان، بل للهرب من شك لا سبيل إلى احتماله وهؤلاء لا يتخذون هذا القرار تعبدا بل بحثا عن الأمن، والدارس للمشهد المعاصر الذي لا تعنيه الكنيسة بل تعنيه (روح) الإنسان يرى في هذه الخطوة عرضا آخر من أعراض اضطراب الأعصاب"[34].

فهناك فرق واضح بين الدين المبني على لغة الإيمان وصحة الاعتقاد، والدين التسلطي، هذا الخير يفقد فيه الإنسان كل حقوق الإنسانية خاضعا مستسلما لقوى أعلى، أما الدين الإنساني فهو الذي ينطلق من عمق الإنسانية وإيمانها بالحرية والفعل، من هنا يقول فروم: "إلى إدراك واضح للفرق بين الدين المبني على العقلية التسلطية والدين المبني على العقلية الإنسانية وهو يحارب ذلك النوع الأول من الدين لأنه يجعل من الطاعة العمياء فضيلة رئيسية، ولأنه يحول الإنسان إلى كائن ضعيف عاجز بينما يتصف الرب بأنه عليم بكل شيء وموجود في كل مكان... أما الدين الآخر أي هذا الدين المفعم بالإنسانية والذي يشدد على قدرة الإنسان وطبيعته الخيرة هذا الدين لا يتطلب الطاعة الخاملة بل يحض على تحقيق المرء لكل طاقاته الإنسانية فهو الدين الذي يدافع عنه"[35].

وبالعودة إلى التفسير الفرويدي للدين فإن فروم يعتقد أن "كل الثقافات دينية وكل عصاب هو شكل معين من الدين إذا قصدنا بالدين محاولة حل مشكلة الوجود الإنساني"(36).

فلا يزال الدين عند فرويد إحدى مظاهر العصاب، بل إن فرويد يحاول أن يبين بأن الدين هو وهم يزرع في النفس العجز والخمول، وبالتالي فإن عدم قدرة الإنسان وعجزه عن مقاومة الطبيعة وخضوعه لها جعله يعتقد في قوتها وكمالها، ويؤمن بضعفه وحاجته إليها، ولقد زاد تمظهر الدين في العصر الحديث والمعاصر بالنسبة لإنسان هذا العصر الذي فرضت عليه الحضارة أشياء لم يستطع أن يقاومها أو يكبتها مما دفعه إلى الانطواء على ذاته ولكنها تمظهرت في كثير من سلوكاته وأمراضه العصابية، وعليه ففرويد "بدراسته بواعث الإنسان الخفية بموضوعية جديدة أدرك أن الإيمان بالله القادر على كل شيء والعليم بكل شيء له جذوره في العجز البشري وفي محاولة الإنسان التغلب على عجزه بواسطة الإيمان بعون الأب والأم المتمثلين بالله في السماء"(37).

من هنا ينظر فروم إلى الإيمان نظرة جديدة تقوم على الاعتقاد بأن الإيمان منبع النفس، وأن الإيمان يعني السعي وراء مطالب النفس التي تتوق إلى معرفتها، لإنه الاعتقاد فيما لم يتم التحقق منه، وهنا يصبح الإيمان هو الدافعية والمحرك للعبادة وللدين، في بعده الروحي الخلاق.

"إن الإيمان ليس شكلا واهنا للاعتقاد أو المعرفة، إنه ليس إيمانا بهذا أو بذلك، إن الإيمان هو الإقناع بالنسبة لما لم تجر البرهنة عليه بعد، معرفة الإمكانيات الحقيقية، الوعي بالخصوصية، إن الإيمان هو بالأحرى عقلاني عندما يشير إلى معرفة ما هو حقيقي والذي لم يتولد بعد، إنه قائم على ملكة المعرفة والاستيعاب والذي ينفذ من السطح ويرى اللب، إن الإيمان _مثل

الأمل_ ليس التنبؤ بالمستقبل، إنه رؤية (الحاضر) في حالة الحمل الذي سيولد"[38].

فالدين كمحرك للبشرية لابد منه، إننا لا نستطيع تصور إنسان دون دين أو عقيدة، ولم توجد في التاريخ حضارة دون دين، لكن علينا أن نجعل من الدين مصدراً للحياة والطاقة بالاعتقاد في دين صحيح وليس ديناً زائفاً، أن من الأديان من تقضي على الإنسان في داخله وفي روحانيته، ومنها من يمد الإنسان بالشرارة التي تجعله يتقد عملا وفعلا ويحقق انعتاقه الروحي قبل المادي والجسدي، وعليه كان "الدين في هذا المعنى العريض للتعريف كحاجة إلى نظام توجه هو شيء خاص بالنسبة لكل البشر بشكل أو بآخر أن الخيار ليس على الإطلاق بين الدين أو اللادين... الخيار هو فقط بين دين جيد ودين سيء أو دين أفضل ودين أسوأ"[39].

ورغم أن الإنسان قد تخلص من عبادة الأوثان إلا أن الوثنية لم تنته، فلقد تحول الإنسان إلى وثنية جديدة هي عبادة المادة وما تنتجه يداه من أشياء، حيث سيطرت عليه التكنولوجيا والآلة والتقنية وجعلته يعيش بعدا واحدا إلى درجة أن غير مفهومه الانطولوجي من "أنا أفكر إذن أنا موجود" إلى "أنا استهلك إذن أنا موجود" إنها الوثنية والعبادة الجديدة لإنسان هذا العصر الذي تمرد على جميع القيم الروحية والأخلاقية في سبيل الحصول على منافع زائلة وفانية "إن أحد أشكال ديننا المعاصر هو تأليه وثن معين، وثن الإنتاج بحد ذاته"[40].

الهوامش:

[1]– نقلا عن حميد لشهب، إيريك فروم، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة وتعليق حميد لشهب، تقديم راينر فونك فيديبرانت، الرباط 2003، ص 08.

[2]- إيريك فروم، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة وتعليق حميد لشهب، تقديم راينر فونك، فيديبرانت، الرباط (د ط) 2003 ص 41.

[3]- المصدر نفسه، ص ص 41_ 42.

[4]- إيريك فروم، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، مصدر سابق، 42.

[5]- المصدر نفسه، ص 44.

[6]- إيريك فروم، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، مصدر سابق، 45.

[7]- المصدر نفسه، ص 48.

[8]- المصدر نفسه، ص 90.

[9]- إيريك فروم، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، مصدر سابق، 92.

[10]- المصدر نفسه، ص 94.

[11]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[12]- المصدر نفسه، ص 95.

[13]- إيريك فروم، مهمة فرويد، تحليل لشخصيته وتأثيره، ترجمة طلال عتريسي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 2002، ص 06.

[14]- إيريك فروم، فن الحب، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة بيروت، (د ط) 2000، ص 37.

[15]- إيريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (د ط) 1989، ص 16.

[16]- المصدر نفسه، ص 127.

[17]- إيريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، مصدر سابق، ص 127.

[18]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[19]- المصدر نفسه، ص 128.

[20]- إيريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، مصدر سابق، ص 128

[21]- المصدر نفسه، ص 131.

[22]- المصدر نفسه، ص 132.

[23]- إيريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، مصدر سابق، ص 132.

[24]- المصدر نفسه، ص 133.

[25]- المصدر نفسه، ص 134.

[26]- إيريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، مصدر سابق، ص 134.

[27]- المصدر نفسه، ص 135.

[28]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

29– إيريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، مصدر سابق، ص 138.

30– إيريك فروم، الإنسان من أجل ذاته، بحث في سيكولوجية الأخلاق، ترجمة محمود منقذ الهاشمي ط1،2007 ص 31.

31– المصدر نفسه، ص 81.

32– إيريك فروم، الحكايات والأساطير والأحلام، ترجمة صلاح حاتم، دار الحوار، دمشق، ط1، 1990، 82.

33– إيريك فروم، الخوف من الحرية، ترجمة، مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 1972.ص 69.

34– إيريك فروم، الدين والتحليل النفسي، ترجمة، فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، (د ط)، (د س) ص 09.

35– إيريك فروم، اللغة المنسية، ترجمة، حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 1995، ص 96.

36– إيريك فروم، المجتمع السوي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، ط1، 2009.، ص ص 134_ 135.

37– يريك فروم و د.ت سوزوكي و رينشارد دي مارتينو، بوذية الزن و التحليل النفسي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006، ص 116.

38– إيريك فروم، ثورة الأمل نحو تكنولوجيا مؤنسنة، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الكلمة، القاهرة، ط1 2010 ص 31.

39– إيريك فروم، مساهمة في علوم الإنسان، ترجمة محمد حبيب، دار الحوار، سوريا، ط1، 2013، ص 38.

40– إيريك فروم، مساهمة في علوم الإنسان، مصدر سابق، ص 54.